قراءة في كتاب

من علّمني؟

محمد محبوب عالم *
Email: mahboobjnu@gmail.com

أصدرت حديثا دارُ الرشيد، لكناؤ، الهند، كتاباً بقلم الدكتور محمد أكرم الندوي. يشتمل هذا الكتاب على تراجم نخبة ممتازة من كبار أساتذة الدكتور أكرم الندوي في دار العلوم لندوة العلماء الذين قاموا بدور كبير في تعليمه وتثقيفه وتربيته تربيةً إسلاميةً، ولهم فضل عظيم عليه في إعداده كعالم بارع وأديب مبدع وباحث جاد في العلوم والدراسات الإسلامية. كما يقدّم الكتاب تصويرًا صادقاً لدار العلوم لندوة العلماء التي قضى المؤلفُ في رحابها أحلى أيام حياته وتربى في حضنها الأليف، والتي كانت تفتخر بوجود أساتذة بارعين في فنونهم يعامِلون الطلبة معاملة الآباء لأبنائهم، ويُحسنون إليهم بكل رفق وحنان، ويوجِّهونهم إلى ما فيه خير وسعادة ونجاح في الدنيا والآخرة، وينصحونهم بالابتعاد عن كل شيء وهو شر لهم، ويساعدونهم على حل المشاكل وتذليل الصعوبات التي يتعرضون لها خلال حياتهم الدراسية. يُشير الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي في "كلمة الناشر" لنفس الكتاب، إلى ما كان يتميز به أساتذةُ ندوة العلماء وقتذاك بالقول "إن هؤلاء الأساتذة رغم علو شأنهم ومكانتهم في المجتمع كانوا يتكيفون مع احتياجات الطلاب... ويفرِّغون من أوقاتهم الثمينة لإفادة كل من يرون فيه الرغبة في الحصول على العلم... ومن خصائص هؤلاء الأساتذة أنهم لم يكونوا مدرسين فقط، يحضرون الصفوف، ويلقون الدروس...وانتهت الحصص الدراسية ومضوا، وإنما كانوا بجانب هذه الوظيفة المهمة الأساسية مربِّين، نعم! كانوا مربِّين يقومون بتربية

اسم الكتاب: من علّمني؟
اسم المؤلف: د. محمد أكرم الندوي
الناشر: دار الرشيد، لكناؤ- الهند
الطبعة الأولى: 2018م
عدد الصفحات: 152
ثمن النسخة: 125 روبية هندية

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

الطلاب تربية دينية خلقية اجتماعية... وهذا ما تفقده المدارس اليوم بسبب المادية التي غزتها بفيروساتها"[1].

يعبّر المؤلف بالطبع عن شوقه وحنينه إلى ندوة العلماء، وعن حبه الجم وتقديره البالغ لثلة من أساتذته في مختلف العلوم والفنون، من التفسير والحديث والفقه والأدب واللغة والإعلام وغيرها من الفنون الأخرى، فإن القارئ سيستفيد ويستمتع عند قراءته بأسلوب رائع وفريد من أول صفحة إلى آخر صفحة في الكتاب، من حيث لا يدخل المؤلف إلى ترجمة أساتذتهم ووصف خصالهم الحميدة وخصائصهم البارزة مباشرةً – كما نجد في الكتب عامةً– بل إنه يُعالج العلوم والفنون بمختلف جوانبها أولاً بأسلوب سردي أخاذ، مستوعبًا جوانب حياة أساتذته المختلفة دراسة وتدريسا وتأليفا وما إلى ذلك.

أذكر هنا مثالا لما جاء تحت باب "من علَّمك الفكر الإسلامي؟

"قالوا: ما الفكر الإسلامي؟ قلت: هو ما أورثه المسلمون من أعمال عقلية ونظرية في العلوم والفنون والفلسفات والآداب إبداعا وإنتاجا واجتهادا، منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا.

قالوا: ما الفكر الإسلامي المعاصر؟ قلت: هوالفكر النزيه الصافي الذي طوره المفكرون المسلمون إنكارا للفكر العلماني، ومقاومة للهجمات الفكرية والثقافية الغربية، وتصحيحًا للفكر التجددي المتأثر بمصادر غير إسلامية.....

قالوا: ما مصدره؟ قلت: مصدره هو القرآن الكريم والسنة النبوية وعيا لهما وفهما، واستنباطا منهما واستخراجا، فهو إذًا فكر رباني.....

قالوا: ما خصائصه؟ قلت: يتميز الفكر الإسلامي بما ذكرنا من سمو مصدره وثباته، وهو فكر شامل، أي يشمل جميع مقتضيات الحياة ونواحيها.....

قالوا: من علَّمك الفكر الإسلامي؟ قلت: شيخنا السيد محمد واضح رشيد الندوي، قالوا: أفدنا بترجمته. قلت: سألتموني ترجمة شيخ محبب لدي أثير، أنست به أنسًا كبيرا، وألفته أيما ألفة، أشعلتم بذكره عاطفة في صدري، وأيقظتم نائم

[1] -نفس الكتاب، ص: 4.

الأشجان في قلبي..... هو العالم الصالح، التقي النقي، الأديب اللوذعي، اللغوي الألمعي، المفكر المتوقد الذكي، الأستاذ الشريف أبو جعفر محمد واضح رشيد الندوي بن ..... ولد سنة ..... وتخرج في دار العلوم لندوة العلماء ..... عمل لفترة في إذاعة عموم الهند بدلهي..... ألف "من قضايا الفكر الإسلامي: الغزو الفكري"، و"أدب الصحوة الإسلامية".... وأنشأ مئات من المقالات التربوية والفكرية والتوجيهية باللغتين العربية والأردية.

يمتاز بالعلم والعمل، جامعا بين العقل والحكمة والخلق الحسن، ومضروبا به المثل في التواضع.....

قرأت عليه أشياء من كتاب "الأدب العربي بين عرض ونقد" و"الفكر الإسلامي" للأستاذ محمد مبارك، وأخذت منه دروسًا في الأدب العربي والإنشاء والكتابة، ودروسًا في الغزو الفكري.....

قالوا: مالذي امتاز به شيخك في شرح الفكر الإسلامي قلت: ما رأينا من يدانيه في شرح الفكر الإسلامي عبر أدواره المختلفة.....

قالوا زدنا من فضائل شيخك ومناقبه فقد نراك به متيما وبذكره سعيدا، قلت: هو معلِّم أغرُّ، لندوة العلما فخر.....

قالوا: مالك مفيضا في الإشادة بفضله ومناقبه هذه الإفاضة؟

قلت: اعفوني، فقلبي مليء بحبه، ولي بث منه طيب لذيذ أعانيه، وكأن دافعا يدفعني إلى الاستكثار من ذكره، على أن الكثير منه عندي قليل، فإني أجد ثناءه في الناس أشرف من ثناء الملوك الكرام، ... وإذا أفضت في ذكره حسبت أني غير مفيض"[1].

إلا أن المؤلف عندما يتناول الحديث عن العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كان المؤلفُ من المقربين إليه منذ فترة دراسته في ندوه العلماء، حيث إنه اقتفى أثره في السيرة والسلوك والبحث والتحقيق، يتخذ أسلوبا عاديا ويُلقي ضوءً كاشفا على شتى جوانب حياة العلامة رحمه الله من الدعوية والإصلاحية والفكرية والتأليفية وغيرها.

[1] -الكتاب نفسه، ص: 74 -79.

وإلى جانب ذلك، يحتوي الكتاب على مقامة أيضا بعنوان "المقامة اللكنوية" تُشير إلى بداية رحلة المؤلف إلى مدينة لكناؤ لتحصيل العلم والمعرفة، وحنينه إلى هذه المدينة التي قضى فيها فترة طويلة. ويُفرد المؤلف بالذكر من بين أصدقائه ورفقائه عبدَالحي مع الإشارة إلى صفاته النبيلة وخصاله الحميدة التي يتسم بها.

كما يتزين الكتاب بمقدمة رائعة مفصلة بقلم محمد حشمت الندوي المقيم حاليا في دولة قطر، والذي كان زميلاً للدكتور أكرم الندوي في الدراسة بدار العلوم لندوة العلماء، تحدث فيها حشمت الندوي عن مسيرة صاحب الكتاب العلمية والعملية مستوعباً جوانب حياته المختلفة من البداية إلى النهاية بشكل موجز، وأبرز فيها الخصائص العلمية والعادات الشريفة التي يتحلى بها أكرم الندوي.

كما حاول محمد حشمت الندوي في مقدمة الكتاب تصويرَ ندوة العلماء تصويرًا دقيقاً يعكس الجوَّ التعليمي والأدبي والثقافي السائد في رحاب ندوة العلماء خلال فترة الثمانينيات من القرن الماضي.

يقول محمد حشمت الندوي في مقدمة الكتاب، عن الأسلوب الذي يتميز به المؤلف "يتحدث زميلي الفاضل عن سيرتهم، وفضلهم، ومكارمهم، ومآثرهم العلمية والفكرية وإنجازاتهم القيمة في مجالات البحث والتحقيق والتأليف والتدريس، ويقدم كل ذلك، كباقة حب وإخلاص وعرفان بجميلهم وفضلهم عليه، وعلى الآخرين من طلاب العلم، في حلة قشيبة من اللغة العربية العصرية وبأسلوب علمي وأدبي راق وجميل، ويمتاز أسلوبه ببلاغة التعبير، وفصاحة البيان، وصياغة رصينة، وعبارات رائعة معبرة، تعطر المسامع، وتذكي الوجدان، وتنعش القلوب"[1].

ويزيد هذا الكتاب قيمةً وأهميةً أن المؤلف نفسه بارعٌ في العلوم والفنون التي ناقشها في هذا الكتاب، حيث يتمتع المؤلف بذوق أدبي، ويتميز بثقافة واسعة ومطالعة دقيقة، فيقدّم تعريفاً كافياً وشرحاً وافياً لكل علم و فن أخذه عن أساتذته الكرام في ندوة العلماء.

[1] -من مقدمة الكتاب، ص: 13-14.

صاحب الكتاب الذي بين أيدينا الدكتور محمد أكرم الندوي هو من مواليد 1963م. بعد تلقي العلوم الابتدائية والثانوية في جونفور، سافر إلى مدينة لكناؤ والتحق بدار العلوم لندوة العلماء، فحصل على شهادة العالمية عام 1981م، وشهادة الفضيلة (اختصاص في الحديث النبوي الشريف)، عام 1983م. وأكمل شهادة البكالوريوس عام 1989م، وشهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها عام 1992م من جامعة لكناؤ. وقدّم رسالة الدكتوراه في قسم اللغة العربية في نفس الجامعة بعنوان "بستان المحدثين للشاه عبد العزيز الدهلوي: دراسة نقدية" عام 2001م.

كما قام بالتدريس منذ 1984م إلى 1990م في دار العلوم لندوة العلماء، ثم عقد عزمه على الرحلة إلى لندن باقتراح السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وسافر إليها سنة 1991م ليعمل باحثاً في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية التابعة لجامعة أكسفورد، وقضى فيه أكثر من عشرين سنة كباحث، واشتغل هناك مدرسًا في مؤسسات ومعاهد مختلفة. وحاليا يتولى منصب عميد كلية كامبرج الإسلامية بالمملكة المتحدة إلى جانب كونه مشتغلا بتدريس العلوم الإسلامية المتقدمة كمحاضر كبير في مؤسسة "السلام" بلندن.

حظيت المكتبة الإسلامية والعربية بقسط وافر من مؤلفات الدكتور أكرم الندوي، فله أكثر من خمسة وعشرين كتابا حول موضوعات شتى. ومن أهم إنتاجاته كتاب في طبقات المحدثات في 52 مجلدا، جمع فيه تراجم ثمانية آلاف امرأة محدثة عن الحديث النبوي، وأكمل هذا العمل في ثمانية أعوام من العمل المتواصل.

فيستحق المؤلف كل الثناء والتقدير على إتحاف هذا الكتاب القيم المفعم بمعلومات كافية عن ندوة العلماء وبيئتها التعليمية وأساتذتها الحاذقين في فنونهم المختلفة، والمخلصين لطلابهم والمشرفين على نشاطاتهم التعليمية والثقافية والدعوية في داخل الصفوف وخارجها. وسيكون الكتاب مرجعاً أساسياً للدارسين والباحثين في إسهامات كبار الأساتذة لندوة العلماء الذين كانت تفتخر بهم وقتا ما.